مرويات غزوة الخندق (5 هـ- 627 م) من خلال تفسير ابن كثير (ت: 774هـ) «دراسة تاريخية مقارنة»

أ.موجاح الدين جمالدينوف
باحث ماجستير- قسم التاريخ – كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

جاءت هذه الدراسة بعنوان: مرويات غزوة الخندق (5 هـ) الموافق (627 م)، من خلال تفسير ابن كثير (ت: 774هـ) «دراسة تاريخية مقارنة»، وهدفت الدراسة إلى: إبراز ترجيحات ابن كثير في غزاة الخندق من خلال تفسيره. وإبراز منهج ابن كثير في تناول السيرة النبوية من خلال تفسير. إضافة إلى إيضاح علاقة الامام ابن كثير-رحمه الله-بالتاريخ، وعمد الباحث إلى تطبيق المنهج الاستقرائي ثم دراسة تاريخية من المصادر الأخرى. وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أبرزها: أن الإمام ابن كثير-رحمه الله- أسهم بإنتاجه العلمي الزاخر في إثراء المكتبة الإسلامية وذلك من خلال تأليفه في العديد من المجالات العلمية، وكان من أهمها: التفسير والتاريخ. وأن من أبرز معالم منهج الإمام ابن كثير –رحمه الله- في تدوين أخبار السيرة النبوية أنه كان يتحرى الآثار والأخبار الصحيحة، ويفند الأخبار الباطلة، والروايات الضعيفة. كما أن غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب هي الغزوة السابعة عشر من غزوات الرسول ﷺ، وكانت في شوال من السنة الخامسة من الهجرة النبوية على الصحيح.

الكلمات المفتاحية: المغازي- تفسير ابن كثير-الأحزاب-الخندق-السيرة من خلال كتب التفاسير.

Title of the study: Narrations of the Battle of the Trench (5 AH- 627 AD), through the interpretation of Ibn Kathir (d. 774 AH) "A comparative historical study».

«A comparative historical study».

A.MUZHOKHIDDIN ZHAMOLDINOV

Abctract:

This study was entitled: Narrations of the Battle of the Trench (5 AH) corresponding to (627 AD), through the interpretation of Ibn Kathir (d. 774 AH) "A comparative historical study", and the study aimed to: Highlight Ibn Kathir's preferences in the Battle of the Trench through his interpretation. And highlight Ibn Kathir's approach in dealing with the Prophet's biography through interpretation. In addition to clarifying the relationship of Imam Ibn Kathir - may God have mercy on him - with history, the researcher applied the inductive approach and then a historical study from other sources. The study reached many results, the

most prominent of which are: Imam Ibn Kathir - may God have mercy on him - contributed with his abundant scientific production to enriching the Islamic library through his writings in many scientific fields, the most important of which were: interpretation and history. And that one of the most prominent features of Imam Ibn Kathir's - may God have mercy on him - approach in documenting the news of the Prophet's biography is that he was investigating the correct traces and news, and refuting false news and weak narrations. The Battle of the Trench or the Battle of the Confederates is the seventeenth battle of the Prophet's battles, may God bless him and grant him peace, and it took place in Shawwal of the fifth year of the Prophet's migration, according to the correct view.

المقدمة:

الحمد لله الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله. الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتحصل السعادات وتنزل البركات من رب الأرض والسماوات الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وأخزى الأحزاب والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ والأصحاب وعلى آله والأزواج ﷺ .

أما بعد:

خير بداية نبدأها أن نعرف بهذا الإمام فهو هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن ذرع القيسي، القرشي، البصروي ثم الدمشقي الشافعي، ولد الإمام الحافظ ابن كثير في مطلع القرن الثامن سنة (701هـ) على الراجح؛ حيث قيل أنه ولد سنة (700هـ)[1]، وقيل: (703هـ)[2]، إلا أن الأصح هو القول الأول؛ لما صرح به الإمام ابن كثير عن نفسه؛ حيث ذكر أنه ولد سنة (701هـ)، وأثبت ذلك بخطه ﷺ [3] ولد في قرية صغيرة من قرى مدينة بصرى[4] من أرض حوران[5] في بلاد الشام، اسمها «مجدل»، وهي قرية أمه[6]، قرب دمشق. وتفسير ابن كثير ﷺ من أعظم وأجل كتب التفسير، أمضى فيه مؤلفه عمرا طويلا وهو يقلب فيه بين الفينة والأخرى، محليا إياه بفائدة تخطر له، أو حكاية قول أزمع تحقيقه، وقد احتوى تفسيره على الكثير من الأحاديث والآثار من مصادر شتى، حتى أتى على مسند الإمام أحمد فكاد يستوعبه، كما نقل عن مصادر لا ذكر لها في عالم المخطوطات، كتفسير الإمام أبي بكر بن مردويه، وتفسير الإمام عبد بن حميد، وتفسير الإمام ابن المنذر، وغيرها كثير. كما تضمن تفسير ابن كثير ﷺ بعض المباحث الفقهية والمسائل اللغوية، وقد قال الإمام السيوطي: لم يؤلف على نمط مثله[7].وقد توفي الإمام أبو الفداء ابن كثير ﷺ بدمشق في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة (774هـ) ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق عند شيخه ابن تيمية، كما أوصى بذلك –رحمهما الله- [8]. ولما مات رثاه بعض طلبته ﷺ بقوله:

لفقدك طـــــلّاب العلوم تأسّفوا ... وجادوا بدمـــــــــع لا يبيد غزير

ولو مزجوا ماء المدامع بالدّما ... لكان قليلا فيـــــك يا ابن كثير [9]

والمطلع على ترجمة ابن كثير وتفسيره يستنتج ما يلي:

1. أن الإمام ابن كثير عاش طفولة صعبة كونه فقد والده في سن مبكرة وكفله أخوه الأكبر، واضطرت بعد ذلك عائلته للانتقال إلى دمشق، وكانت تلك الفترة عصيبة.
2. أن الإمام ابن كثير تأثر بشخصية شيخه الإمام ابن تيمية، وتعرض للإيذاء لأخذه بآراء شيخه، وصبر على ذلك وواصل رحلته العلمية والدعوية بثبات وصبر.
3. أن كل من ترجم للإمام ابن كثير اعترف له بأنه كان: فقيهاً ومفسراً ومحدثاً وأديباً وخطيباً ومؤرخاً وحافظاً متقناً.
4. أسهم الإمام ابن كثير بإنتاجه العلمي الزاخر في إثراء المكتبة الإسلامية وذلك من خلال تأليفه في العديد من المجالات العلمية؛ كالتفسير، والتاريخ، والحديث، والفقه، والأصول.
5. أن تفسير القرآن العظيم لابن كثير تميز بعناية مألفه بدقة النقل، وأمضى فيه مؤلفه عمرا طويلا وهو يقلب فيه بين الفينة والأخرى، محليا إياه بفائدة تخطر له، أو حكاية قول أزمع تحقيقه، وقد احتوى تفسيره على الكثير من الأحاديث والآثار من مصادر شتى، حتى أتى على مسند الإمام أحمد فكاد يستوعبه، كما نقل عن مصادر لا ذكر لها في عالم المخطوطات، كتفسير الإمام أبي بكر بن مردويه، وتفسير الإمام عبد بن حميد، وتفسير الإمام ابن المنذر، وغيرها كثير.
6. أن تفسير الحافظ ابن كثير يعد من الكتب التي كتب الله لها القبول والانتشار في أقطار المعمورة، وبين طلاب العلم والعامة؛ فلا تكاد تخلو منه اليوم مكتبة أو مسجد.
7. أن من أبرز معالم منهج الإمام ابن كثير في تدوين أخبار السيرة النبوية أنه كان يتحرى الآثار والأخبار الصحيحة، ويفند الأخبار الباطلة، والروايات الضعيفة، وكان هذا منهجه في تفسيره – تفسير القرآن العظيم-، ويدل لذلك إكثاره من النقل عن الإمام ابن جرير.

فإن دراسة السيرة النبوية من خلال تفسير القران الكريم يعد من الأهمية بمكان لأن القرآن الكريم يعتبر المصدر الأول لأخبار السيرة النبوية، ولا شك أن التوسع في هذا المجال مما يثري المدونة التاريخية؛ لذا وبعد استخارة الله-سبحانه وتعالى-واستشارة مشايخي وزملائي أحببت أن يكون البحث: مرويات غزوة الخندق (5 هـ) الموافق (627 م)، من خلال تفسير ابن كثير (ت: 774هـ) «دراسة تاريخية مقارنة».

لقد شهدت بلاد الشام ظهور مدرسة اجتهادية تأسست على علوم الحديث والسنة، وعلى صحيح المنقول، وصريح المعقول، مثّلها الإمام المجتهد شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ)، وتلاميذه في ذلك الوقت الإمام ابن القيم، والإمام ابن كثير ﷺ وغيرهم من المجتهدين؛ الإمام الحافظ المزي –رحمه الله-وقد جمعت رموز هذه المدرسة بين التمسك بالنصوص، وتفعيل العقلية النقدية [10]. ولهذا برز منهج الإمام ابن كثير ﷺ في تدوين أخبار السيرة النبوية على هذه الطريقة؛ حيث كان يتحرى الآثار والأخبار الصحيحة، ويفند الأخبار الباطلة، والروايات الضعيفة، وكان هذا منهجه في تفسيره –تفسير القرآن العظيم-، ويدل لذلك إكثاره من النقل عن الإمام ابن جرير ﷺ[11].

كما أن الحافظ ابن كثير ﷺ كان يصاحب الإمام الذهبي (ت: 748هـ)، ﷺ والذي كان له جهد كبير في التأليف في السير والمغازي؛ انتقاد الروايات الضعيفة والواهية، واعتبارها عبئاً كبيراً يثقل كاهل السيرة النبوية [12].

إن الطريقة التي اتبعها الحافظ ابن كثير في كتابه أن يذكر الآية، ثم يذكر معناها العام، ثم يورد تفسيرها من القرآن أو من السنة أو من أقوال الصحابة والتابعين، وأحيانا يذكر كل ما يتعلق بالآية من قضايا أو أحكام، ويحشد لذلك الأدلة من الكتاب والسنة، ويذكر أقوال المذاهب الفقهية وأدلتها والترجيح بينها، وقد أبان الحافظ ابن كثير عن طريقته في مقدمة تفسيره، قال: (فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين)[13]. ولهذا اعتمد الحافظ في تفسيره العظيم هذا أسلوب تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالحديث، وابتعد عن الإسرائيليات وانتقد الاعتماد عليها إلا فيما سمح به الشرع. وفي هذا يقول: (وهذا عندي وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يكبسون به على الناس أمر دينهم) [14]. ويؤكد هذا في موضع آخر عند تفسير قول الله – سبحانه وتعالى- ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 57] يقول: «والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة» [0]. وقد نهج الحافظ ابن كثير فيه منهجاً علمياً أصيلاً وساقه بعبارة فصيحة وجمل رشيقة، وتتجلى لنا أهمية تفسير الحافظ ابن كثير، رحمه الله، في النقاط التالية:

1. ذكر الحديث بسنده.
2. حكمه على الحديث في الغالب.
3. ترجيح ما يرى أنه الحق، دون التعصب لرأي أو تقليد بغير دليل.
4. عدم الاعتماد على القصص الإسرائيلية التي لم تثبت في كتاب الله ولا في صحيح سنة رسول الله ﷺ، وربما ذكرها وسكت عليها، وهو قليل.
5. تفسيره ما يتعلق بالأسماء والصفات على طريقة سلف الأمة، رحمهم الله، من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل.
6. استيعاب الأحاديث التي تتعلق بالآية، فقد استوعب، رحمه الله، الأحاديث الواردة في عذاب القبر ونعيمه عند قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: 27]، وكذا استوعب أحاديث الإسراء والمعراج عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: 1]، وكذا الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: 33] وكذا الأحاديث الواردة في

الصلاة على النبي عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: 56] وغير هذا كثير.

وفيما يتعلق بمنهجه في تدوين أخبار السير فإن الإمام ابن كثير نهج في عرضه للأحداث التاريخية المتعلقة بالسيرة النبوية ضمّن تفسيره للآيات التي تطرقت لتلك الأحداث ونحوها بنفس المنهج الذي اعتمده بشكل عام في تفسيره.

كما أنه -رحمه الله-كان ينقد الروايات التاريخية ويصحح بعضها، وربما رجح أحد الأقوال أو أبدى رأيه في المسألة؛ كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ* وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: 114-113]؛ فإنه حكم ﷺ بغرابة ونكارة الحديث الذي رواه السهيلي ﷺ في الروض الأنف بسند فيه جماعة مجهولون، وهو: (إن الله أحيا له أباه وأمه فآمنا به)[15]. وأسال الله-سبحانه وتعالى-التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: غزوة الأحزاب. (5هـ)

غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب هي الغزوة السابعة عشر من غزوات الرسول ﷺ، وكانت في شوال من السنة الخامسة من الهجرة النبوية على الصحيح، وقال موسى بن عقبة وغيره كانت في سنة أربع، والذي رجحه الإمام ابن كثير في البداية والنهاية هو القول الأول[16]، وهذا ما ذكره ابن هشام في السيرة[17]، وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الأحزاب(27-9)؛ كما قال -سبحانه وتعالى-.

سبب الغزوة:

قال ابن كثير ﷺ: (كان سبب قدوم الأحزاب أن نفرا من أشراف يهود بني النضير، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر[18]، منهم: سلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة؛ فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم -أيضاً-، وخرجت قريش في أحابيشها، ومن تابعها، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب، وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر، والجميع قريب من عشرة آلاف)[19].

دراسة المتن:

لما أجلى النبي ﷺ يهود بني النضير ساروا إلى خيبر، وكان بها من اليهود قوم أهل عددٍ وجلَدٍ، وليست لهم من البيوت والأحساب ما لبني النضير-كان بنو النظير سرهم-فلما قدموا خيبر خرج حُييّ بن أخْطب، وكنانة بن أبي الحقيق، وأبو عامر الراهب في بضعة عشر رجلاً إلى مكة يدعون قريشاً وأتباعها إلى حرب محمد ﷺ؛ فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمداً. قال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم ونزعكم؟ قالوا: نعم، جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله. قال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد. قال النفر: فأخرج خمسين رجلاً من بطون قريش كلها أنت فيهم، وندخل نحن وأنتم بين أستار الكعبة حتى نلصق أكبادنا بها، ثم نحلف بالله جميعاً لا يخذل بعضنا بعضاً، ولتكونن كلمتنا

واحدة على هذا الرجل ما بقي منا رجل؛ ففعلوا فتحالفوا على ذلك وتعاقدوا، ثم قالت قريش بعضها لبعض: قد جاءكم رؤساء أهل يثرب وأهل العلم والكتاب الأول، فسلوهم عما نحن عليه ومحمد، أينا أهدى؟ قالت قريش: نعم[20]. ويروي ابن هشام ﷺ(أنهم حين قدم اليهود على قريش مكة؛ فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله؛ فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد؛ أفديننا خيرٌ أم دينه؟ قالوا-أي اليهود-: بل دينكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولى بالحق منه؛ فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (*) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: 52-51]. قال: فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له)[21]. وقيل إن ثناء قريش على اليهود كان في مناسبة أخرى، قال الإمام الطبري ﷺ (ذُكر لنا أن هذه الآية أنزلت في كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، ورجلين من اليهود من بني النضير، لقيا قريشًا بمَوْسم؛ فقال لهم المشركون: أنحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فإنا أهل السِّدانة والسِّقاية، وأهل الحرم؟ فقالا: لا؛ بل أنتم أهدى من محمد وأصحابه! وهما يعلمان أنهما كاذبان، إنما حملهما على ذلك حَسَد محمد وأصحابه) [22].

خروج الأحزاب:

قال ابن كثيرﷺ: (وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريباً من أحد، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[الأحزاب: 10] ، وخرج رسول الله ﷺ، ومن معه من المسلمين، وهم نحو ثلاثة آلاف، وقيل: سبعمائة، وأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم إلى نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الرجالة والخيالة أن تصل إليهم، وجعل النساء والذراري في آطام المدينة، وكانت بنو قريظة -وهم طائفة من اليهود -لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حيي بن أخطب النضري؛ فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالؤوا الأحزاب على رسول الله ﷺ؛ فعظم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال، كما قال الله تعالى: ﴿هُنالِكَ ابتُلِيَ المؤمنُونَ وزُلزِلُوا زِلْزَالاً شديداً﴾[الأحزاب: 11])[23].

دراسة المتن: ويقصد بالمتن الرواية التي ذكرها الإمام ابن كثير:

لما حرضت اليهود مشركي قريش ومن أطاع لها من قبائل العرب لقتال المسلمين، واستئصالهم من المدينة، استطاعوا بمكرهم إقناع تلك القبائل للخروج؛ فخرجت قريش، وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان، وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، في بني فزارة، والحارث ابن عوف بن أبي حارثة المري، في بني مرة، ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع[24]. وتواعد رهط اليهود مع قريش اتفقوا على وقت وقتوه بينهم؛ فخرجت اليهود حتى أتت غطفان، وأخذت قريش في الجهاز، ثم خرجت اليهود حتى جاءوا بنى سليم؛ فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش، ثم ساروا في غطفان، فجعلوا لهم تمر خيبر سنة، وقيل: نصف تمر خيبر، وينصرونهم ويسيرون مع قريش إلى محمد إذا ساروا؛ فأنعمت بذلك غطفان، فأجابه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل إليهم طليحة بن

خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش فنزلوا بمر الظهران[25]؛ فجاءهم من أجابهم من بني سليم مددا لهم فصاروا في جمع عظيم فهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب[26]. وسارت في العرب تدعوهم إلى نصرها، وألبوا أحابيشهم ومن تبعهم في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة [27]، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وألف وخمسمائة بعير، ولاقتهم سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس، وخرجت بنو أسد يقودها طليحة بن خويلد الأسدي، وخرجت فزارة في ألف مقاتل يقودها عيينة بن حصن، وخرجت أَشْجعُ في أربعمائة مقاتل يقودها مسعود بن رخيلة، وخرجت بنو مرة في أربعمائة مقاتل يقودها الحارث بن عوف، وغيرهم) [28].

قَالَ ابن إسحاق رحمه الله: (ولما فرغ النّبيّ ﷺ من الخندق أقبلت قريش ومن معها، حتى نزلت بمجتمع السيول من دومة بين الجُرْف وزَغَابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومَن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وغطفان، فنزلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب تعمر إلى جانب أُحُد)[29].

قال ابن كثير: (قلت: وهذا معنى قوله تعالى-: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظنونا﴾ [الأحزاب: 10]) [30]. وخرج رَسُول اللَّهِ ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف، فعسكروا هنالك، والخندق بينه وبين القوم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام، ودفع ﷺ لواء المهاجرين لزيد بن حارثة، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة رضي الله عنهم [31]، وقيل كان عدد المشركين في هذه الغزوة إحدى عشر ألفاً، وقيل كان المشركون أربعة آلاف، والمسلمون نحو الألف، والذي رجحه الجمهور هو ما ذكر ابن إسحاق -رحمه الله- أن المشركين نحو من عشرة آلاف، والمسلمين نحو من ثلاثة آلاف، والله أعلم [32]. وقيل: عسكر النبي ﷺ أول الغزوة عند جبل ذباب، وعليه مسجد الراية، ثم عسكر على جبل سلع عند مسجد الفتح الموجود حالياً ضمن المساجد السبع [33]. وكانت مدة حصار المشركين للمدينة نحو عشرين يوماً، وقيل: شهراً، وقيل: خمسة عشر يوماً [34]. وكان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة، وكان عباد بن بشر على حرس رسول الله ﷺ مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة [35].

الأمر بحفر الخندق:

قال ابن كثير رحمه الله: لما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ فعمل المسلمون فيه واجتهدوا، ونقل معهم رسول الله ﷺ التراب وحفر، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات[36].

دراسة المتن:

أرسلت خزاعة من مكة من يخبر النبي ﷺ بخروج قريش وأحلافها إليه؛ فندب ﷺ الناس وأخبرهم الخبر، وشاورهم؛ فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق؛ فأجابه على ذلك [37].

والذي عليه المحققون من أهل العلم، والنقاد أنه لم ترد رواية صحيحة تدل على أن سلمان الفارسي رضي الله عنه هو الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق؛ لكن هذا الخبر من الأمور المشتهرة في كتب السيرة، وروى الإمام الطبري رحمه الله قال: «حدثت عن محمد بن عمر قال: كان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق

سلمان، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر، قال: ويا رسول الله ﷺ: «إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا»[38] [39]. وأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين في الأجر [40]، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا حتى أحكموه. وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يورّون بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ، ولا إذن. وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التي لا بد له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة في الخير، واحتسابا له [41].

فأنزل الله ﷻ في حال كل من الفريقين قرآناً يتلى إلى يوم القيام، كما قال تعالى في حال المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 62] وقال ﷻ في حال المنافقين الذين كانوا يخرجون خلسة دون استئذان من رسول الله ﷺ، ودون حاجة للخروج، وتخاذلاً منهم في تقديم العون للمسلمين، وخوفاً من القتل: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]. وكان المسلمون أثناء عملهم في حفر الخندق يرتجزون فيه برجل من المسلمين، يقال له جعيل، سماه رسول الله ﷺ: عمرا، فقالوا:

سماه من بعد جعيل عمراَ *** وكان للبائس يوما ظهراَ

فإذا مروا «بعمرو» قال رسول الله ﷺ: عمرا، وإذا مروا «بظهر» قال رسول الله ﷺ وسلم: ظهرا؛ أي: قال معهم آخر -أيضًا-؛ فكانوا يرتجزون هذا الشعر، وكان النبي ﷺ يقول معهم أواخر أبياته [42]. وقال أبو سعيد الخدري: لكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحفر في الخندق مع المسلمين، والتراب على صدره وبين عكنه [43]، وإنه ليقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا *** ولا تصدقنا ولا صلينا

وقال جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-: عمل الناس يومئذ كلهم والنبي ﷺ. وجعلت الأنصار ترتجز وتقول:

نحن الذين بايعوا محمدا *** على الجهاد ما بقينا أبدا

فقال النبي ﷺ:

اللهم لا خير إلا خير الآخره *** فاغفر للأنصار والمهاجره[44].

مدة حفر الخندق:

اختلف المؤرخون ﷺ في مدة عمل النبي ﷺ والصحابة في حفر الخندق؛ فقيل: قريباً من عشرين ليلة، وقيل: أربع وعشرين ليلة، وقيل: خمسة عشر يوماً، وزادها بعضهم إلى نحو شهر، وقيل: كان حفره ستة أيام [45].

وصف الخندق:

يبدأ الخندق من أطمي الشيخين في بستان عند وسط شارع الملك فهد المؤدي إلى أحد نحو (1800متر) عن الحرم، ونهايته عند أطم المزاد أو جبله عند امتداد شارع سكة الحديد إلى الدائري الأوسط، أمام الجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية وطوله (3000متر)، وعرضة (9 أمتار)، وعمقه (5 أمتار) [46].

قال الواقدي رحمه الله : قالوا: وكان الخندق ما بين جبل عُبيد بخُربى إلى راتج؛ فكان للمهاجرين من ذباب إلى راتج، وكان للأنصار ما بين ذباب إلى خُربى؛ فهذا الذي حفره رسول الله ﷺ، وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية، وهي كالحصن، وخدقت بنو عبد الأشهل عليها بما يلي راتج إلى خلفها، حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند خُربى إلى موضع دار ابن أبي الجنوب [47].

كان حفر الخندق في الجهة الشمالية من المدينة المنورة، وقدر طوله كان خمسة آلاف وخمس مائة وأربعة وأربعين متراً (5544). ومتوسط عرضه أربعة أمتار فاصلة اثنين وستين (4.62) ـ ومتوسط عمقه ثلاثة أمتار فاصلة ثلاثة وعشرين (3.234) [48]. ولما نظر المشركون إلى الخندق قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، وصار المشركون يتناوبون، فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوما، ويغدو خالد بن الوليد يوما، ويغدو عمرو بن العاص يوما، ويغدو جبيرة بن وهب يوما، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوما، ويغدو ضرار بن الخطاب يوما، فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة، ويجتمعون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول ﷺ أي يقربون منهم، ويقدمون رجالهم فيرمون، ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى [49].

المعجزات في هذه الغزوة.

المعجزات الواردة في غزوة الأحزاب:

1 -تسليط الرياح على الأحزاب من مشركي قريش ومن معهم:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ثم أرسل الله ﷻ، على الأحزاب ريحاً شديدة الهبوب قوية، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال -الله تعالى-: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الأحزاب: 9] [50]

دراسة المتن:

شهدت أحداث غزوة الخندق العديد من المعجزات النبوية الحسية والمعنوية التي كان لها الأثر البالغ في رسم أحداق هذه الغزوة، وكان أثرها أشد على من شاهداها وحضرها من أصحاب الرسول ﷺ، ومن أبرز تلك المعجزات إذابة الصخور، وتكثير الطعام، وبشارة المؤمنين بفتوح الشام والعراق ومصر وفارس والروم واليمن، ونزول الملائكة، ونصر الله ﷻ لنبيه ﷺ بالريح؛ حيث سُلطت الريح على جموع الأحزاب فلم تبقى لهم قراراً حتى ارتحلوا.

قال ابن ظفر الصقلي (ت 565هـ) عن هذه الريح: (هبت ريح الصبا [51] ليلًا، فقلعت الأوتاد، وألقت عليهم الأبنية، وكفأت القدور، وسفت عليهم التراب، ورمتهم بالحصا) [52]. وقال ﷺ عن الريح التي زلزلت الأحزاب: (نصرت بالصبا) [53]. وقال الفتني (ت 986هـ): (فانهزموا من غير قتال ولا إهلاك أحد منهم لما علم الله من رأفة نبيه ﷺ بقومه رجاء أن يسلموا) [54]. وروي أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله ﷺ، هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، قال: نعم. اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، قال: فضرب الله ﷻ وجوه أعدائه بالريح؛ فهزمهم الله عز وجل بالريح [55].

فكان مما من الله به ﷻعلى نبيه ﷺ والمسلمين أن تولى ﷻ هزيمة الأحزاب، وخذلهم، وفرق جمعاً ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك إلى أن فتح الله تعالى مكة على نبيه ﷺ.

2 -تسليط الملائكة على الأحزاب:

قال ابن كثير ﵀: عند قوله: ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9]: (هم الملائكة، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف، فكان رئيس كل قبيلة يقول: يا بني فلان إلي. فيجتمعون إليه فيقول: النجاء، النجاء. لما ألقى الله تعالى في قلوبهم من الرعب) [56]. وجاء في حديث حذيفة ﵁ حين بعثه رسول الله ﷺ يتحسس خبر الأحزاب ليلة رحيلهم وانهزامهم؛ فكان مما قاله في وصف تلك الأوضاع في معسكر المشركين: «وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفرستهم الريح تضربهم بها، ثم خرجت نحو النبي ﷺ، فلما انتصفت في الطريق أو نحوا من ذلك، إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين؛ فقالوا: أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم [57].

دراسة المتن:

كان مما نصر الله ﷻ به رسوله ﷺ أن أرسل على الأحزاب الملائكة تزلزلهم، وتقذف الرعب في قلوبهم.وفي الصحيح أن النبي ﷺ حين اشتد الخوف كان يدعو الله تعالى؛ فقد روي عن عبد الله بن أبي أوفى ﵁، أن رسول الله ﷺ دعا على الأحزاب؛ فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم» [58]. وتسليط الله ﷻ الملائكة على الأحزاب يُعد من الآيات التي أيد الله بها رسول الله ﷺ، وهو ما روته عائشة رضي الله عنها، قالت: (لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل (عليه السلام)، فقال: «قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم) [59].

كما أن من المعجزات التي ظهرت في هذه الغزوة ما حصل من تكثير الطعام في قصة جابر بن عبد الله ﵁؛ فقد روى البخاري ﵀ : (أن جابر بن عبد الله ﵁ قال: إنا يوم الخندق نحفر؛ فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل». ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب، فعاد كثيبا أهيل، أو أهيم، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيب. قال: قل لها: لا تنزع البرمة، ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا: فقام المهاجرون، والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا؛ فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز، ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة) [60].

المبحث الثالني: حال اليهود في هذه الغزوة.

قال ابن كثير ﵀: (كانت بنو قريظة -وهم طائفة من اليهود -لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حيي بن أخطب النضري اليهودي، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالؤوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فعظم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال،

كما قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 11] ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريباً من شهر، إلا أنهم لا يصلون إليهم). [61]

دراسة المتن:

لما تحزبت الأحزاب ونجح اليهود في جرهم إلى المدينة (خرج -عدو الله- حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك وعاهده فلما سمع كعب حيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه؛ فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي: ويحك يا كعب افتح لي، قال ويحك يا حيي: إنك امرئ مشئوم وإني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء، قال ويحك افتح لي أكلمك؛ قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جُشِيشَتِك[62] أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل؛ ففتح له. فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. قال: فقال له كعب: جئتني والله بذلّ الدّهر، وبِجهام قد هراق ماءه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيْء، ويحك يا حيي؛ فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً. فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذّروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك؛ فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد ابن عبادة بن دليم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة، أخو بني الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف ﷺ ؛ فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه، وكان رجلا فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين) [63]. وأورد الحلبي ﷺ أن حيي لم يزل بكعب حتى مزق الصحيفة التي كان فيها العقد، وجمع رؤساء قومه؛ وهم: الزبير بن مطا، وشاس بن قيس، وعزال بن ميمون، وعقبة بن زيد، وأعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ؛ فلجم الأمر لما أراد الله من هلاكهم. وكان حيي بن أخطب في اليهود يشبه بأبي جهل في قريش [64].

فبينا رسول الله ﷺ والمسلمون في الخندق أتى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: (يا رسول الله ﷺ، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت؛ فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ، وقال: من نبعث يعلم لنا علمهم؟ فقال عمر: الزبير بن العوام ﷺ؛ فكان أول الناس بعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ﷺ ؛

فقال: اذهب إلى بني قريظة. فذهب الزبير فنظر، ثم رجع فقال: يا رسول الله ﷺ، رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم...، ثم أرسل النبي ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير-رضي الله عنهم-؛ فقال: إنه قد بلغني أن بني قريظة قد نقضوا العهد الذي بيننا وبينهم وحاربوا، فاذهبوا فانظروا إن كان ما بلغني حقاً، فإن كان باطلا فأظهروا القول، وإن كان حقا فتكلموا بكلام تلحنون لي به أعرفه، لا تفتوا أعضاد المسلمين؛ فلما انتهوا إلى كعب بن أسد وجدوا القوم قد نقضوا العهد، فدار بينهم كلام وتشاتم...؛ فلما انتهوا إلى النبي ﷺ قال سعد بن عبادة-رضي الله عنه-: عضل والقارة. وسكت الرجلان-يريد بعضل والقارة غدرهم بخبيب وأصحاب الرجيع-ثم جلسوا؛ فكبر رسول الله ﷺ وقال: أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه. وانتهى الخبر إلى المسلمين بنقض بني قريظة العهد؛ فاشتد الخوف وعظم البلاء) [65].

قال ابن كثير ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وأنزلَ الذينَ ظاهرُوهمْ منْ أهْلِ الكِتَابِ منْ صَياصِيهِم وَقذفَ في قُلوبِهِم الرّعْبَ فَريقاً تَقْتلُونَ وَتأسِرُونَ فَرِيْقاً (*) وأورَثكُمْ أرْضَهمْ وَديارهُم وأمَوالهُم وأرضاً لمْ تطئُوهَا وكَانَ الله عَلَى كُلّ شَيءٍ قَدِيراً﴾ [الأحزاب: 27-26].

تقدم أن بني قريظة لما قدمت بجنود الأحزاب، ونزلوا على المدينة، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، وكان ذلك بسفارة حيي بن أخطب النضري -لعنه الله -دخل حصنهم، ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد، وقال له فيما قال: «ويحك، قد جئتك بعز الدهر، أتيتك بقريش وأحابيشها، وغطفان وأتباعها، ولا يزالون هاهنا حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه. فقال له كعب: بل والله أتيتني بذل الدهر. ويحك يا حيي، إنك مشؤوم، فدعنا منك. فلم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى أجابه، واشترط له حيي إن ذهب الأحزاب، ولم يكن من أمرهم شيء، أن يدخل معهم في الحصن، فيكون له أسوتهم. فلما نقضت قريظة، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، ساءهُ، وشق عليه وعلى المسلمين جداً؛ فلما أيّد الله ونصر، وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيداً منصوراً، ووضع الناس السلاح. فبينما رسول الله ﷺ يغتسل من وعثاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة إذ تبدى له جبريل معتجراً بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوضعت السلاح يا رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: لكن الملائكة لم تضع أسلحتها، وهذا الآن رجوعي من طلب القوم. ثم قال: إن الله يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة» [66].

دراسة المتن:

تحدثت هذه الآيات عما حدث لليهود بعد تفرق الأحزاب وانهزامهم، وهي التي عرفت عند أصحاب المغازي بغزوة بني قريظة؛ فقد أخزاهم الله ﷻبعد نقضهم العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، ونصره عليهم، وأورث المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم، ولله الحمد والمنة. و(لما انصرف الأحزاب راجعين إلى ديارهم بعد تلك الليلة الشاتية والريح العاتية وهزمهم الله -سبحانه وتعالى-، ثم انصرف النبي ﷺ والمؤمنون منتصرين عن الخندق إلى المدينة، ووضعوا السلاح؛ فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة، وعليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غلست شقه، فقال: قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال

جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم...؛ فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فانهد إليهم؛ فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال، فأمر النبي ﷺ مناديا فأذن: أن من كان سامعاً مطيعاً؛ فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- برايته إليهم، وابتدرها الناس فسار علي -رضي الله عنه- حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله ﷺ لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لم، أظنك سمعت لي منهم أذى؟ قال: نعم يا رسول الله ﷺ، قال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا؛ فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة والخنازير. وفي رواية: ويا عبدة الطاغوت؛ هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً) [67]. وفي لفظ: نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحزاب أن لا يصلّيّن أحد الظهر إلا في بني قريظة؛ فتخوف ناسٌ فوات الوقت؛ فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت. قال: فما عنّف واحداً من الفريقين) [68]. وأورد ابن كثير ﷺعند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قديراً﴾ [الأحزاب: 27]: حديث عائشة الصديقة ﷺعند الإمام أحمد ﷺ قال: (حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص قال: أخبرتني عائشة ﷺقالت: خرجت يوم الخندق أقفو الناس؛ فسمعت وئيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس ﷺ يحمل مجنه، قالت: فجلست إلى الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، فمر وهو يرتجز ويقول:

لبث قليلاً يشهد الهيجا حمل *** ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيها عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة له -تعني المغفر -فقال عمر: ما جاء بك؟ لعمري والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز. قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بي ساعتئذ، فدخلت فيها، فرفع الرجل التسبغة عن وجهه، فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال: يا عمر، ويحك، إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله تعالى؟ قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش، يقال له ابن العرقة بسهم، وقال له: خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله فقطعه، فدعا الله سعد؛ فقال: «اللهم، لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة». قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية، قالت: فرقأ كلمه، وبعث الله الريح على المشركين، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزاً؛ فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد في المسجد، قالت: فجاءه جبريل، عليه السلام، وإن على ثناياه لنقع الغبار، فقال: أو قد وضعت السلاح؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم. قالت: فلبس ﷺ لأمته، وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا؛ فخرج رسول الله ﷺ فمر على بني غنم -وهم جيران المسجد حوله-فقال: ومن مر بكم؟ قالوا: مر بنا دحية الكلبي -وكان دحية الكلبي تشبه لحيته، وسنه ووجهه جبريل، عليه الصلاة والسلام، فأتاهم رسول الله ﷺ؛ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتد حصارهم واشتد

البلاء قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ؛ فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح. قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ؛ فقال رسول الله ﷺ: «انزلوا على حكم سعد بن معاذ». فنزلوا وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ-رضي الله عنه-فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه، وحف به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية، ومن قد علمت، قالت: ولا يرجع إليهم شيئا، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لي ألا أبالي في الله لومة لائم. قال: قال أبو سعيد ﷺ : فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه». فقال عمر ﷺ : سيدنا الله. قال: «أنزلوه». فأنزلوه، قال رسول الله ﷺ: «احكم فيهم». قال سعد-رضي الله عنه-: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، وتقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ﷺ». ثم دعا سعد ﷺ فقال: اللهم، إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً، فأبقني لها. وإن كنت قطعت (وضعت) الحرب بينه وبينهم؛ فاقبضني إليك. قال: فانفجر كلمه، وكان قد برئ منه إلا مثل الخرص، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله. قالت عائشة ﷺ : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر ﷺ قالت: فو الذي نفس محمد ﷺ بيده، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وأنا في حجرتي. وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [69]، [70].

قال ابن حجر ﷺ : (والذي يظهر لي أن ظن سعد كان مصيباً وأن دعاءه في هذه القصة كان مجاباً؛ وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حربٌ يكون ابتداء القصد فيها من المشركين فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة؛ فصدوه عن دخول مكة، وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 24]، ثم وقعت الهدنة واعتمر ﷺ من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد؛ فتوجه إليهم غازياً؛ ففتحت مكة. فعلى هذا فالمراد بقوله ﷺ : أظن أنك وضعت الحرب؛ أي: أن يقصدونا محاربين، وهو كقوله ﷺ في الحديث في أواخر غزوة الخندق: «**نغزوهم، ولا يغزوننا**») [71].

حال المنافقين في هذه الغزوة:

قال ابن كثير ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ أي: الأحزاب ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أي: بنو قريظة، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي: من شدة الخوف والفزع، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظنونا﴾ [الأحزاب: 10]. قال ابن جرير ﷺ : ظن بعض من كان مع رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين، وأن الله سيفعل ذلك [72]. وقال محمد بن إسحاق ﷺ : في قوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظنونا﴾: ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير -أخو بني عمرو بن عوف -: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط [73].

دراسة المتن:

لقد فضح القرآن الكريم حال المنافقين في هذه الغزوة وكشف عن حيلهم الدنيئة، وأساليبهم الخبيثة في مكرهم بالإسلام وأهله؛ فبعد أن ظهر نقض اليهود لعهد رسول الله ﷺ، وطال حصار المشركين: (نجم النفاق، وفشل الناس، وعظم البلاء، واشتد الخوف، وخيف على الذراري والنساء، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ

الظنونا﴾ [الأحزاب: 10]، ورسول الله ﷺ والمسلمون وجاه العدو، لا يستطيعون الزوال عن مكانهم، يعتقبون خندقهم ويحرسونه. وتكلم قوم بكلام قبيح؛ فقال معتب بن قشير: يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى حاجته، وما وعدنا الله ورسوله ﷺ إلا غرورا!)[74]. ووصف الله تعالى حال المنافقين في هذا الموقف العصيب وما ظهر منهم من سوء وخزي وذل؛ فكانوا يلوذون بالفرار خلسة دون علم النبي ﷺ، ودون إذن مسبق منه، كما كان بعضهم يسعى لتثبيط المسلمين من خلال التشكيك في قدرة النبي ﷺ والمسلمين في الصمود أمام كفار قريش والأحزاب المتحزبة ضد المسلمين، كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ، أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [75]

قال ابن كثير رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: 13-12]. (يقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال، حين نزلت الأحزاب حول المدينة، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم: أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا، فحينئذ ظهر النفاق، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم؛ أما المنافق، فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسيكة، ضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه؛ لضعف إيمانه، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. وقوم آخرون قالوا كما قال الله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ يعني: المدينة، كما جاء في الصحيح: «أريت في المنام دار هجرتكم، أرض بين حرتين؛ فذهب وهلي أنها هجر؛ فإذا هي يثرب، وفي لفظ: المدينة») [76]. وقوله: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أي: هاهنا، يعنون عند النبي ﷺ في مقام المرابطة، ﴿فَارْجِعُوا﴾؛ أي: إلى بيوتكم ومنازلكم. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾: قال العوفي، عن ابن عباس: هم بنو حارثة قالوا: بيوتنا نخاف عليها السرق. وكذا قال غير واحد. وذكر ابن إسحاق رحمه الله : أن القائل لذلك هو أوس بن قيظي، يعني: اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة، أي: ليس دونها ما يحجبها عن العدو، فهم يخشون عليها منهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: ليست كما يزعمون، ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: هربا من الزحف. ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (*) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: 15-14] [77]

دراسة المتن:

عندما شاع خبر نقض اليهود للعهد، وكانوا قبلها سمعوا ما وعد به نبي الله ﷺ من النصر والظفر، والفتوح؛ قال المنافقون: (ألا تعجبون؟ يحدثكم ويمنيكم، ويعدكم بالباطل، يخبركم أنه بصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق، ولا تستطيعون أن تبرزوا!! وأنزل القرآن: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾) [الأحزاب: 12] [78].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ [الأحزاب: 15]. يقول تعالى ذكره: ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في الانصراف عنه ويقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، عاهدوا الله من قبل ذلك ألا يولوا عدوّهم الأدبار، إن لقولهم في مشهد لرسول الله ﷺ معهم؛ فما أوفوا بعهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ يقول: فيسأل الله تعالى ذلك من أعطاه إياه من نفسه[79]. وقيل -أيضاً-في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾؛ (أي: من قبل غزوة الخندق، وبعد بدر. قال قتادة ﷺ : وذلك أنهم غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر، فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن. وقال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة، هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾؛ أي: مسئولاً عنه) [80].

قال ابن كثير ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 19-18]. (يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم، أي: أصحابهم، وعشرائهم، وخُلطائهم ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾؛ أي: إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم. وقال السدي ﷺ : ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: في الغنائم؛ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾؛ أي: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال؛ ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾؛ أي: فإذا كان الأمن، تكلموا كلاما بليغا فصيحا عاليا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك، وقال ابن عباس ﷺ: ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ أي: استقبلوكم) [81].

دراسة المتن:

كانت حال المنافقين أسوء ما يكون، ولم يأت منهم خير لرسول الله ﷺ ولا للمؤمنين؛ بل عملوا على تثبيط الناس، وسعوا إلى صرفهم عن رسول الله ﷺ بكل الوسائل، وبثوا الرعب في نفوس الضعفاء، وعظموا شأن الكفار، واليهود، وكانوا معول هدم، وقاموا بإذكاء الحرب النفسية بين المسلمين.

قال العلماء ﷺ : (كان من المنافقين من يرجع من الخندق؛ فيدخل المدينة فإذا جاءهم أحد قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج. ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر: أن ائتونا بالمدينة فإنا ننتظركم. يثبطونهم عن القتال. وكانوا لا يأتون العسكر إلا ألا يجدوا بدا. فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم. فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة) [82].

قال الإمام الطبري ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: 19-18]. (يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله ﷺ؛ فيصدّونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقاً منهم، وتخذيلاً عن الإسلام وأهله ﴿والقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنا﴾؛ أي: تعالوا إلينا، ودعوا محمدا، فلا تشهدوا معه مشهده، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ﴿وَلا يَأْتُونَ البأْسَ إلا قَلِيلاً﴾. يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلا تعذيراً، ودفعا عن أنفسهم المؤمنين...، وهذا يوم الأحزاب، انصرف رجل من عند رسول الله ﷺ، فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا في الشواء والرغيف والنبيذ، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلمّ إلى هذا؛ فقد بلغ بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبدًا، فقال: كذبت والذي يحلف به؛ قال -وكان أخاه من أبيه وأمّه-: أما والله لأخبرنّ النّبي ﷺ أمْرَكَ؛ قال: وذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره؛ قال: فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً﴾ [الأحزاب: 18] [83].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المنافق الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قول ابن زيد. والثاني: أنهم اليهود دعَوا إخوانهم من المنافقين إلى ترك القتال، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المنافقون دعَوا المسلمين إليهم عن رسول الله ﷺ [84].

قال الإمام الطبري ﷺ بعد ذكر الأقوال في معنى ﴿أشحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: (والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشحّ، ولم يخصص وصفهم من معاني الشحّ، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به: أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله: ﴿أشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله: ﴿وَلا يَأْتُونَ البأْسَ﴾؛ كأنه قيل: هم جبناء عند البأس، أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾؛ فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس على القتال، ويشحون عند الفتح بالغنيمة، ويجوز أن يكون -أيضاً-قطعاً من قوله: هَلم إلينَا أشِحّة، وهم هكذا أشحة. ووصفهم جلّ ثناؤه بما وصفهم من الشحّ على المؤمنين لما في أنفسهم لهم من العَداوة والضّغنُ) [85].

وقال قتادة ﷺ : (أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأه مقاسمة: أعطونا، أعطونا، قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق. وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر:

أفي السلم أعياراً جفاء وغلظة *** وفي الحرب أمثال النساء العوارك

أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً هيناً عنده[86].

ثم أخبر-جل جلاله-عن جُبنهم فقال: ﴿فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ﴾؛ أي: إذا حضر القتال ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: كدوَران عين الذي يُغْشَى عليه من الموت، وهو الذي دنا موته وغشيتْه أسبابُه؛ فإنه يخاف ويذهل عقله ويشخص بصره فلا يَطْرِف؛ فكذلك هؤلاء، لأنهم يخافون القتل [87].

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ [الأحزاب: 19] أي: وجاء الأمن والغنيمة، ﴿سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾. قال الفراء: آذوكم بالكلام في الأمن بألسنة سليطة ذربة، يقال: سلق فلانا بلسانه إذا أغلظ له في القول مجاهرا. وقال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا؛ فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق، وأما عند القسمة فأشح قوم...، ثم أخبر الله تعالى عنهم فقال: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾؛ أي: هم أظهروا الإيمان فقد نافقوا ليسوا بمؤمنين، ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾. قال مقاتل: أبطل الله جهادهم لأنه لم يكن في إيمان، وكان ذلك الإحباط، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 19[88]. والإشارة بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ إلى الموصوفين بتلك الصفات ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾؛ إيماناً خالصاً؛ بل هم منافقون، يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر؛ ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: أبطلها، بمعنى: أظهر بطلانها؛ لأنها لم تكن لهم أعمال تقتضي الثواب حتى يبطلها الله. وقال مقاتل: أبطل جهادهم لأنه لم يكن في إيمان ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: وكان ذلك الإحباط لأعمالهم، أو كان نفاقهم على الله هيناً[89].

قال ابن كثير ﷺ : ﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الأحزاب:20]. (وهذا-أيضًا-من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور ﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾؛ بل هم قريب منهم، وإن لهم عودة إليهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾؛ أي: ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة؛ بل في البادية، يسألون عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم، ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً﴾؛ أي: ولو كانوا بين أظهركم، لما قاتلوا معكم إلا قليلا؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم)[90].

دراسة المتن:

لما ذكر حال المنافقين والذين في قلوبهم مرض من فتنتهم في المسلمين وإذا هم حين مجيء جنود الأحزاب وحين زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ثني عنان الكلام الآن إلى حالهم حين أنعم الله على المسلمين بانكشاف جنود الأحزاب عنهم، فأفاد بأن انكشاف الأحزاب حصل على حين غفلة من المنافقين فلذلك كانوا يشتدون في ملام المسلمين ويسلقونهم بألسنة حداد على أن تعرضوا للعدو الكثير، وكان الله ساعتئذ قد هزم الأحزاب فانصرفوا وكفى الله المؤمنين شرهم، وليس للمنافقين وساطة في ذلك. ولعلهم كانوا لا يودون رجوع الأحزاب دون أن يأخذوا المدينة، فتكون جملة ﴿**يَحْسَبُونَ**﴾ استئنافاً ابتدائياً مرتبطاً بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9] جاء عوداً على بدء بمناسبة ذكر أحوال المنافقين، فإن قوله: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ يؤذن بانهزام الأحزاب ورجوعهم على أعقابهم، أي: وقع ذلك ولم يشعر به المنافقون. ويجوز أن يكون المعنى: أنهم كانوا يسلقون المؤمنين اعتزازا بالأحزاب؛ لأن الأحزاب حلفاء لقريظة، وكان المنافقون أخلاء لليهود؛ فكان سلقهم المسلمين في وقت ذهاب الأحزاب وهم لا يعلمون ذلك، ولو علموه لخفضوا من شدتهم على المسلمين؛ فتكون جملة ﴿يَحْسَبُونَ﴾ حالاً من ضمير الرفع في ﴿سَلَقُوكُمْ﴾؛ أي: فعلوا ذلك حاسبين الأحزاب محيطين بالمدينة، ومعتزين بهم؛ فظهرت خيبتهم فيما قدروا)[91].وقيل-أيضاً- في معنى: ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾؛ أي: يحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم أن الأحزاب باقون في

معسكرهم لم يذهبوا إلى ديارهم، وذلك لما نزل بهم من الفشل والروع وإن يأت الأحزاب مرة أخرى بعد هذه المرة يودوا لو أنهم بادون في الأعراب أي: يتمنون أنهم في بادية الأعراب لما حل بهم من الرهبة، والمعنى: أنهم يتمنون أنهم بعيد عنكم يسألون عن أخباركم من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم وضعف نياتهم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً؛ أي: لو كانوا معكم في هذه الغزوة مشاهدين للقتال ما قاتلوا معكم إلا قتالا قليلا خوفا من العار وحمية على الديار [92].

حال المؤمنين في هذه الغزوة:

قال ابن كثير ﷺ: (وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريباً من أحد، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: 10]، وخرج رسول الله ﷺ، ومن معه من المسلمين، وهم نحو ثلاثة آلاف، وقيل: سبعمائة، وأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم إلى نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الرجالة والخيالة أن تصل إليهم، وجعل النساء والذراري في آطام المدينة) [93].

دراسة المتن:

كانت حال المؤمنين في هذه الغزوة من أشد ما وجدوه في غزواتهم؛ فقد اجتمعت عليهم الأعداء من كل حدب وصوب، وكان المتزعم لهذا التحزب والداعي له هم اليهود-لعنهم الله-، وآزرهم في ذلك مشركو العرب من قريش وغطفان وغيرهم، ولهول الموقف وشدته وصفه الله وصفاً دقيقاً في أول سورة الأحزاب-كما مر-في المبحث الأول، وعندما علم المسلمون بما عزم عليه الأعداء شرعوا في الجهاز وتسلحوا بالصبر والتوكل على الله، وكان من أبرز ما قاموا به ما يلي:

أولاً: الاستعداد للحرب:

لما علم النبي ﷺ بقدوم الأحزاب جمع أصحابه واستشارهم كما كان يفعل دائماً ﷺ؛ وأمر المسلمين بحفر الخندق. وقيل: أشار عليه سلمان الفارسي-رضي الله عنه-بحفر الخندق؛ فاستحسن ذلك وأمر المسلمين بالشروع فيه، وقسم العمل بينهم حصصاً-كما سبق بيانه-، وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه حتى كمُل الخندق [94].

لقد كان لتحزب الأحزاب وقع عظيم على المسلمين؛ فقد جاءهم المشركون من أعالي المدينة، ونقض اليهود العهد في أسفل المدينة، وأشعل المنافقون الحرب النفسية داخل المجتمع المسلم، وتكالب الأعداء من كل جانب، ولكن الله ألهم المسلمين الثبات، والصبر، وأعانهم بنبيه ﷺ وأرسل لهم الملائكة تثبتهم؛ وهزم -سبحانه وتعالى – الأحزاب وكفى المؤمنين شرهم وقتالهم، وأمكنهم من أعدائهم اليهود الذي كانوا هم سبب تجمع الأحزاب ابتداء، ثم بنقضهم العهد في وقت عصيب حين تكالبت الأعداء من كافة القبائل.

قال جابر بن عبدالله ﷺ: (كان خوفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش حتى فرج الله) [95].

لقد بلغ البلاء بالمسلمين في غزوة الخندق ما بلغ حتى شغلوا عن الصلاة؛ ففاتتهم صلاة العصر حتى غابت الشمس؛ (عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب ﷺ، جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس، جعل يسب كفار قريش، وقال: يا رسول الله ﷺ، ما كدت أن أصلي، حتى كادت الشمس أن تغرب، قال

النبي ﷺ: «وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا»؛ فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب) [96]. ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب حينها، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: (دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللهم، اهزمهم وزلزلهم) [97]. وعن جابر ﷺقال: (دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب في مسجد الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء؛ فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء. قال فعرفنا السرور في وجهه. قال جابر ﷺ فما نزل بي غائظ مهمٌ إلا تحينت تلك الساعة من ذلك اليوم؛ فأدعو الله فأعرف الإجابة. وكان عبد الله بن عمر ﷺ يقول: صلى رسول الله ﷺ فِي الْخَرِيقِ الْقَابِلِ الصّابّ على أرض بني النضير) [98].

ثانيا: ثبات المؤمنين عند نقض اليهود للعهد:

قال ابن كثيرﷺ عند قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَ﴾ [الأحزاب: 10] (قال الحسن ﷺ : ظنون مختلفة، ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[99].

دراسة المتن:

حين بين الله ﷻ ما أصاب المسلمين من شدة وفزع في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10]؛ حيث بلغ بهم الفزع غايته، وخاصة عندما بلغهم أن اليهود قد غدروا ونقضوا العهد، أردف تعالى هذه الحالة بقوله: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[الأحزاب: 11]، وكان هذا الابتلاء من الله –سبحانه وتعالى-لتمحيص المؤمنين، وتمييز المنافقين، وإظهار الحق، ودحض الباطل.

ومعنى كون القلوب لدى الحناجر، في ذلك الوقت فيه لعلماء التفسير وجهان معروفان:

- أحدهما: ما قاله قتادة وغيره; من أن قلوبهم يومئذ ترتفع من أماكنها في الصدور، حتى تلتصق بالحلوق؛ فتكون لدى الحناجر، فلا هي تخرج من أفواههم فيموتوا، ولا هي ترجع إلى أماكنها في الصدور فيتنفسوا. وهذا القول هو ظاهر القرآن.
- والوجه الثاني: هو أن المراد بكون القلوب لدى الحناجر، بيان شدة الهول، وفظاعة الأمر، وعليه فالآية كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 01 -11] وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض [100].

ثالثاً: التسليم للّه وطلب العون منه:

قال ابن كثيرﷺ (عن أبي سعيد ﷺ قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله ﷺ، هل من شيء نقول؛ فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال ﷺ: «نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا». قال: فضرب وجوه أعدائه بالريح، فهزمهم بالريح) [101].

دراسة المتن:

وصف الله –سبحانه وتعالى-حال المؤمنين في هذه الغزوة؛ فقال: ﴿هُنَالك ابتلى الْمُؤْمِنُونَ وزلزلوا زلزالا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 11]، أي: عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين، ومُحِّصَ القوم وعرف المؤمن من المنافق[102].

قال ابن تيمية رحمه الله : (ابتلاهم الله بهذا الابتلاء الذي يكفر به خطيئاتهم ويرفع به درجاتهم وزلزلوا بما يحصل لهم من الرجفات ما استوجبوا به أعلى الدرجات)[103].

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب، فقال: ﴿لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: 22]. وفي ذلك الوعد قولان:

أحدهما: أنه قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 214]؛ فلمَّا عاينوا البلاء يومئذ قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله ﷺ، قاله ابن عباس، وقتادة في آخرين. أي: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب؛ ولهذا قال: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.والثاني: أن رسول الله ﷺ وعدهم بالنّصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الحِيرة، ذكره الماوردي وغيره. قوله تعالى: وَما زادَهُمْ يعني ما رأوه إِلَّا إِيماناً بوعد الله تعالى وَتَسْلِيماً لأمره[104].وقد تبين أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: (هديه إلى حل المشاكل العالمية بأقوم الطرق وأعدلها، ونحن دائما في المناسبات نبين هدي القرآن العظيم إلى حل ثلاث مشكلات، هي من أعظم ما يعانيه العالم في جميع المعمورة ممن ينتمي إلى الإسلام، تنبيها بها على غيرها: المشكلة الأولى: هي ضعف المسلمين في أقطار الدنيا في العدد والعدد عن مقاومة الكفار، وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها، فبين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى الله -تعالى-، وقوة الإيمان به والتوكل عليه؛ لأن الله قوي عزيز، قاهر لكل شيء؛ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا؛ فمن الأدلة المبينة لذلك: أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكري العظيم في غزوة الأحزاب، المذكور في قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[الأحزاب: 11-10]، كان علاج ذلك هو ما ذكرنا-من التوكل عليه تعالى-؛ فانظر شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين، مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة واقتصاداً، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم، وحلوا به هذه المشكلة العظمى، هو ما بينه جل وعلا في سورة الأحزاب؛ بقوله-جل جلاله-: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22]؛ فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسليم العظيم لله جل وعلا، ثقة به، وتوكلا عليه، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى، وقد صرح الله تعالى بنتيجة هذا العلاج بقوله ﷻ: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: 27-25]. وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونه، ولا يحسبون أنهم ينصرون به؛ وهو الملائكة والريح، قال –سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:9]) [105]

رابعا: الوفاء بالعهد والصدق في الوعد:

قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿من الْمُؤمنِينَ رجال صدقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمنهمْ من قضى نحبه وَمِنْهُم من ينْتَظر وَمَا بدلُوا تبديلاً (*) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الأحزاب: 24-23]؛ (لما ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق و﴿صدقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمنهمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾. قال بعضهم: أجله. وقال البخاري: عهده. وهو يرجع إلى الأول[106].

دراسة المتن:

قال ابن الجوزي ﷺ : (اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية ﴿من الْمُؤْمِنِينَ رجال صدقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ...﴾، على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في أنس بن النضر، قاله أنس بن مالك. لما رواه في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: غاب عمِّي أَنَس بن النَّضْر ﷺ عن قتال بدر، فلمَّا قَدِم قال: غِبْتُ عن أوّل قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله عزّ وجلّ قتالاً لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع، فلمّا كان يوم أُحُدٍ انكشف الناسُ، فقال: اللهم إني أبرأُ إليكَ ممَّا جاء به هؤلاء، يعني المشركين، وأعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء، يعني المسلمين ثم مشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أُحُد، واهاً لريح الجنة. قال سعد: فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بِضْع وثمانون جِراحة، من ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورَمْيَة بسهم، قد مثَّلوا به قال: فما عرفناه حتى عرفتْه أختُه بِبَنانه قال أنس ﷺ : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿من الْمُؤْمِنِينَ رجال صدقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية[107].

الثاني: أنها نزلت في طلحة بن عبيد الله. روى النزَّال بن سَبْرة عن عليّ -عليه السلام- أنهم قالوا له: حدِّثنا عن طلحة، قال: ذاك امرؤٌ نزلت فيه آية من كتاب الله تعالى: ﴿فَمنهمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ لا حساب عليه فيما يستقبل. وفي الحديث -أيضاً- أنه ﷺ: «من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»[108]، وقد جعل بعض المفسرين هذا القدر من الآية في طلحة، وأولها في أنس ﷺ [109].

قال ابن كثير ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، -عز وجل-، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين؛ ولهذا قال ﷻ للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال ﷻ : ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾)[110].

دراسة المتن:

هذه الآية جاءت بعد توبيخ المنافقين والذين في قلوبهم مرض؛ (حيث أقبل الكلام على خطاب المؤمنين في عموم جماعتهم ثناء على ثباتهم وتأسيهم بالرسول ﷺ على تفاوت درجاتهم في ذلك الائتساء؛ فالكلام خبر ولكن اقترانه بحرفي التوكيد في ﴿لَقَدْ﴾ يومئ إلى تعريض بالتوبيخ للذين لم ينتفعوا بالإسوة الحسنة من المنافقين، والذين في قلوبهم مرض؛ فلذلك أتي بالضمير مجملاً ابتداء من قوله-سبحانه وتعالى-:

﴿لَكُمْ﴾، ثم فصل بالبدل منه بقوله-سبحانه وتعالى-: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، أي: بخلاف لمن لم يكن كأولئك؛ فاللام في قوله: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾توكيد للام التي في المبدل منه؛ مثل قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ [المائدة: 114]؛ فمعنى هذه الآية قريب من معنى قوله تعالى في سورة براءة في قصة تبوك: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (*) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: 87، 88])[111].

قال القرطبي ﷺفي معنى الآية؛ (فيه مسألتان:

الأولى: قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]؛ هذا عتاب للمتخلفين عن القتال، أي كان لكم قدوة في النبي ﷺ؛ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق. والأسوة القدوة.

الثانية: قوله :﴿أُسْوَةٌ﴾ الأسوة القدوة. والأسوة ما يتأسى به؛ أي: يتعزى به؛ فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله، فلقد شج وجهه، وكسرت رباعيته، وقتل عمه حمزة، وجاع بطنه، ولم يلف إلا صابراً محتسباً، وشاكراً راضياً. وعن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حَجَرٍ حَجَرٍ؛ فرفع رسول الله ﷺ عن حَجَرَيْنِ) [112],[113].

نتيجة الغزوة:

قال ابن كثيرﷺ : (ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريباً من شهر، إلا أنهم لا يصلون إليهم، ولم يقع بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري -وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية -ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق، وخلصوا إلى ناحية المسلمين، فندب رسول الله ﷺ خيل المسلمين إليه، فلم يبرز إليه أحد، فأمر علياً ﷺ؛ فخرج إليه، فتجاولا ساعة، ثم قتله عليﷺ ؛ فكان علامة على النصر[114].

دراسة المتن:

استمر الأحزاب في حصار المسلمين ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش؛ منهم: عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة؛ تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقال: تهيئوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم؟ ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة، ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً؛ فضربوا خيلهم، فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب ﷺ في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم. وكان عمر بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة؛ فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعلّماً ليُرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟. وذكر ابن سعد ﷺأن عمراً كان ابن تسعين سنة، فقال علي: أنا أبارزه، ثلاث مرات وإن المسلمين يومئذ كأن على رءوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته؛ فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه وعممه، وقال: «اللهم أعنه عليه»؛ فكان جابر ﷺ يحدث يقول: فدنا أحدهما من صاحبه وثارت بينهما غبرة

فما نراهما، فسمعنا التكبير تحتها فعرفنا أن عليا قتله. فانكشف أصحابه الذين في الخندق هاربين، وطفرت بهم خيلهم، إلا أن نوفل بن عبد الله وقع به فرسه في الخندق، فرمي بالحجارة حتى قتل، وقيل: قتله الزبير ﷺ . ورجعوا هاربين، وخرج في أثرهم الزبير بن العوام وعمر بن الخطاب، فناوشوهم ساعة [115].

وينسب إلى علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال في ذلك [116]:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَنَصَرْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ بِضِرَابِ
نَازَلْتُـــــــهُ فَتَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلًا ... كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِي
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ انَّنِي ... كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي
لَا تَحْسِبُنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ ... وَنَبِيِّهِ يَا مَعْـــــــشَرَ الْأَحْزَابِ

قال ابن كثيرﷺ **:** ثم أرسل الله (عز، وجل)، على الأحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال الله تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُوداً لَمْ تروْهَا﴾ [الأحزاب: 9] [117].

دراسة المتن:

قال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي. قال: وكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد. قال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: قال حذيفة: يابن أخي، والله لو رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويا من الليل، ثم التفت فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟ -يشرط له النبي ﷺ أنه يرجع -أدخله الله الجنة». قال: فما قام رجل. ثم صلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل ثم التفت إلينا، فقال مثله، فما قام منا رجل. ثم صلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع -يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة -أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة». فما قام رجل من القوم؛ من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فلما لم يقم أحد، دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال: «يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا». قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله-عز وجل-تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً؛ فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه. قال حذيفة-رضي الله عنه-: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح الذي ترون. والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا، فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي: ألا تحدث شيئا حتى تأتيني؛ ثم شئت لقتلته بسهم. قال حذيفة-رضي الله عنه-: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل؛ فلما رآني أدخلني بين رجليه، وطرح علي طرف المرط، ثم ركع، وسجد وإني لفيه، فلما سلّم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم) [118].

وفي رواية؛ قال حذيفة: (فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله ﷺ، ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فأخبرت رسول الله ﷺ، وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى الصبح؛ فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قُم يا نوْمَان») [119]. وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال: (ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ، فقال: جلساؤه: أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا. فقال حذيفة-رضي الله عنه-: لا تمنوا ذلك. لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً، في أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ، ويقولون: «إن بيوتنا عورة وما هي بعورة»؛ فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم فيتسللون، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك، إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى علي، وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي، ما يجاوز ركبتي. قال: فأتاني ﷺ وأنا جاث على ركبتي فقال: «من هذا؟ « فقلت: حذيفة. قال: حذيفة. فتقاصرت بالأرض؛ فقلت: بلى يا رسول الله ﷺ، كراهية أن أقوم. قال: قم؛ فقمت، فقال: إنه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم-قال: وأنا من أشد الناس فزعا، وأشدهم قرا -قال: فخرجت، فقال رسول الله ﷺ: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته. قال: فَوالله ما خلق الله فزعا ولا قرا في جوفي إلا خرج من جوفي، فما أجد فيه شيئا. قال: فلما وليت قال: «يا حذيفة، لا تحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني». قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار، ويمسح خاصرته، ويقول: الرحيل الرحيل، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش، فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني»، فأمسكت، ورددت سهمي إلى كنانتي، ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون: يا آل عامر، الرحيل الرحيل، لا مقام لكم. وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا، فَوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرستهم الريح تضربهم بها، ثم خرجت نحو النبي ﷺ، فلما انتصفت في الطريق أو نحوا من ذلك، إذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين، فقالوا: أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم. فرجعت إلى رسول الله ﷺ، وهو مشتمل في شملة يصلي، فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القر وجعلت أقرقف، فأومأ إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي، فدنوت منه، فأسبل عليّ شملته. وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى، فأخبرته خبر القوم، وأخبرته أني تركتهم يترحلون، وأنزل الله تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا، وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9] [120].

قال الطبري ﷺ وقوله: ﴿**فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً**﴾ قال: (ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم. وقوله: ﴿**وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها**﴾ قال: الملائكة ولم تقاتل يومئذ)[121]. وقال ابن جرير -أيضا-: (حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، حدثني عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن عبد الله بن عمر قال: أرسلني خالي عثمان بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح إلى المدينة، فقال: ائتنا بطعام ولحاف. قال: فاستأذنت رسول الله ﷺ، فأذن لي، وقال: «من أتيت من

أصحابي فمرهم يرجعوا». قال: فذهبت والريح تسفي كل شيء، فجعلت لا ألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبي ﷺ، قال: فما يلوي أحد منهم عنقه. قال: وكان معي ترس لي، فكانت الريح تضربه علي، وكان فيه حديد، قال: فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي، فأنفدها إلى الأرض)[122]. وكان من أسباب هزيمة الأحزاب ورحيلهم-أيضاً- ما روي من خبر نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي رضي الله عنه (أنه أتى رسول الله ﷺ؛ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: « إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنا إن استطعت، فإنّ الحَرب خُدْعَةٌ؛ فخرج نعيم بن مسعود رضي الله عنه حتى أتى بني قريظة -وكان لهم نديماً في الجاهلية-؛ فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم؛ فقال لهم: إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونون بأيديهم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه. قالوا: لقد أشرت بالرأي، ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني. قالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: أنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان، رجالاً من أشرافهم؛ فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم؛ فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم؛ فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنيع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان؛ فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه؛ فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابهم ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه؛ فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة: قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم؛ فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم، وبعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البرد؛ فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم)[123].

لقد اعتمدت الحروب في قوتها الناعمة على الخداع والتضليل، ومن ذلك بث الإشاعات والأراجيف في صفوف الأعداء، وفي غزوة الأحزاب تكالب على المسلمين عدة طوائف من قبائل العرب واليهود الذين يقيمون في المدينة وما جاورها، وقد أدرك النبي أن المسلمين لا قبل لهم بهذه الجموع الكثيرة، التي تفوقهم في العدد والعُدة، فلا بد إذاً من الأخذ بأسلوب سري، لتفريق جموع الأحزاب وكسر صيغة التحالف الذي عُقد للقضاء على المسلمين. فتجلى هذا الأسلوب في التخذيل بين صفوف مختلف طوائف الأحزاب حيث هيأ الله لهذا الأمر شخصية فذة وضعت إمكاناتها تحت تصرف الرسول ﷺ، ذلك هو نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه الذي كان حديث عهد بإسلام، وقد كتمه عن الأعداء؛ فاستطاع بذلك أن يثبط قوماً عن قوم وأن يوقع بينهم شراً، حتى كانت كل فئة ترى أنه ينصح لها، وبهذا اندفع كيد الأحزاب عن المؤمنين، ونجحت دعاية نعيم بن مسعود أيما نجاح في غرس روح التشكيك، وعدم الثقة بين قادة الأحزاب؛ مما أدى إلى كسر شوكتهم، وتهبيط عزمهم، وكان من أسباب نجاح مهمة نعيم قيامها على الأسس التالية [124]:

- أولاً: أنه أخفى إسلامه عن كل الأطراف بحيث وثق كل طرف فيما قدمه له من نصح.
- ثانياً: أنه ذكَّر بني قريظة بمصير بني قينقاع وبني النضير، وبصَّرهم بالمستقبل الذي ينتظرهم إن هم استمروا في حروبهم للرسول ﷺ؛ فكان هذا الأساس سبباً في تغيير أفكارهم وقلب مخططاتهم العدوانية.
- ثالثاً : أنه نجح في إقناع كل الأطراف بأن يكتم كل طرف ما قال له، وفي استمرار هذا الكتمان نجاح لمهمته، فلو انكشف أمره لدى أي طرف من الأطراف لفشلت مهمته. وقد حققت مساعي نعيم في تخذيل بني قريظة أمرين مهمين لجيش النبي ﷺ وهما :
- الأول: أن المسلمين بعد انسحاب بني قريظة من التحالف مع الأحزاب أصبحوا في أمان لأن هؤلاء اليهود كانوا يسكنون المدينة، فلو بقوا في هذا التحالف لما أمن المسلمون من توجيه طعنة لهم من الخلف مع أنهم مشغولون بمواجهة خصمهم الرئيس من الأمام.
- الثاني: أن المسلمين اطمأنوا إلى أن بني قريظة سيستمرون في إمدادهم بالمؤن التي يتطلبها الموقف، وذلك لشدة حاجتهم إليها وانشغالهم عن توفيرها بمواجهة الأعداء.

وفيما فعله نعيم رضي الله عنه دلالة واضحة على أن بث الإشاعات والأراجيف بين صفوف الأعداء يؤثر ما لا يؤثره جيش كبير مع عدم تعريض الجند للخطر وبذل الأموال الكثيرة في تجهيزهم . للقتال. تقديم أسلوب الترغيب والتشجيع على أسلوب الأمر يعد أسلوب الترغيب والتشجيع ذا أثر فعال على النفس، فتستجيب[125].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25].

يقول –تعالى- مخبراً عن الأحزاب (لما أجلاهم عن المدينة، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد، ولكن قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]؛ فسلط عليهم هواء فرق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهوى، وهم أخلاط من قبائل شتى، أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم، لم ينالوا

خيراً لا في الدنيا، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بالعداوة، وهمهم بقتله، واستئصال جيشه، ومن هم بشيء وصدق همه بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله. وقوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي: لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأعز جنده) [126]؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ» [127]. وفي قوله: **﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾**: إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم [128]. وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم» فلم تغز قريش بعد ذلك، وكان هو يغزوهم بعد ذلك، حتى فتح الله عليه مكة. وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن إسحاق حديث صحيح، كما قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني أبو إسحاق قال: سمعت سليمان بن صرد يقول: قال سمعت النبي ﷺ يقول: حين أُجْلِيَ الأحزاب عنه: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ» [129]. وقوله تعالى: **﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾** أي: بحوله وقوته، ردهم خائبين، لم ينالوا خيرا، وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده، ونصر رسوله وعبده، فله الحمد والمنة [130].

دراسة المتن:

اشتملت غزوة الأحزاب أو الخندق على الكثير من الدروس والعبر، وأتت بالكثير من النتائج التي كانت تصب في صالح المسلمين، وهزم الله سبحانه وتعالى- الأحزاب، وردهم خائبين ومنهزمين خاسرين، وكان من أبرز تلك النتائج أن الله تعالى قوى شوكة المسلمين، وبث الرعب في كافة القبائل العربية المشركة التي كانت تحيط بالمدينة المنورة، كما أن من نتائجها زوال آخر قبائل اليهود عن المدينة المنورة؛ حيث منح الله -سبحانه وتعالى- رسوله ﷺ والمسلمين غنائم وسبي يهود قريظة بعد نقضهم العهد، وخيانتهم؛ فكان في طيات تلك النقمة نعم كثيرة لا تحصى والحمد لله. وباختصار فإن المستعرض لنتائج هذه الغزوة يجد أن أهم عوامل النصر للمؤمنين تحددت في أمور[131]:

1. حفر الخندق، وكانت خطة عسكرية نافعة؛ فعن أبي معشر قال: قال سلمان للنبي ﷺ إما كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا؛ فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين في الأجر [132].
2. الريح والملائكة التي أرسلها الله؛ فقد بعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البرد؛ فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم [133].
3. موقف نعيم بن مسعود الأشجعي في التحريش بين الأحزاب واليهود، وخذل بهم.
4. الدعاء؛ فقد كان الدعاء أهم العوامل التي أسهمت في نصر المسلمين؛ حيث دعا النبي ﷺ وكان من دعائه يوم الأحزاب، ما روي في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللهم، اهزمهم وزلزلهم» [134].

كما أن من أعظم نتائج هذه الغزوة -رغم ما لاقى المسلمون فيها من بلاء وشدة-أن ميزان القوة

تحول لصالح المسلمين؛ فقد أخبر النبي ﷺ أصحابه متفائلاً، ومستشعراً نصر الله ﷻ حين أجلى الأحزاب: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»[135] [136].

قال ابن حجر ﷺ : (وفيه علم من أعلام النبوة فإنه ﷺ اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها؛ فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الأمر كما قال ﷺ من حديث جابر، ولفظه: أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب؛ وقد جمعوا له جموعاً كثيرة: لا يغزونكم بعد هذا أبدا ولكن أنتم تغزونهم)[137].وفيما يتعلق بالخسائر البشرية للطرفين: استشهد من المسلمين ﷺ في يوم الخندق: (سعد بن معاذ أبو عمرو من بني عبد الأشهل، وأنس بن أوس بن عتيك، وعبد الله بن سهل وكلاهما من بني عبد الأشهل، والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن عنبة، وكلاهما من بني سلمة، وكعب بن زيد من بني دينار بن النجار؛ أصابه سهم غربٌ -أي لا يعرف من رماه ولا من أين أتى-؛ فقتله، وقيل قتله ضرار بن الخطاب الفهري. وأما المشركون فقد أصيب منهم في يوم الخندق: منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار، أصابه سهم من سهام المسلمين ومات منه في مكة، وقيل إنما هو: عثمان بن أمية بن عبيد، وأصيب نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي؛ اقتحم الخندق فقُتل فيه، وعمرو بن عبد ودٍّ؛ قتله علي بن أبي طالب في مبارزة مشهورة فأهلكه الله) [138].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تتنزل البركات، وبعونه وتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى بالآيات البينات بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وهادياً إلى صراطه المستقيم بإذنه وسراجاً منيراً. أما بعد؛

النتائج:

فإنه لما من الله على الباحث بختم هذا العمل المبارك وبعد استعراض ما تضمنه من فصول ومباحث ومطالب-أبان فيها الإمام ابن كثير في تفسيره عن حقبة هامة وعظيمة من تاريخ المصطفى ﷺ في تاريخ غزواته وفتوحه في جزيرة العرب؛ والتي كان لها الأثر البالغ في إقامة شرع الله تعالى وجهاد المشركين، ونبذ الشرك ومظاهره؛ وإعزاز المسلمين، ورفع مكانتهم بين الأمم-توصل الباحث إلى جملة من النتائج والتي من أهمها ما يلي:

1. أن كتب التفسير بشكل عام تعتبر مورداً هاماً من موارد السيرة النبوية، وغزوات الرسول ﷺ بوجه خاص، وذلك لورود الكثير من أخبار تلك الأحداث في القرآن الكريم.
2. أن سبب غزوة الأحزاب هو قيام نفر من أشراف يهود بني النضير؛ الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، منهم: سلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، خرجوا إلى مكة وتأليب أشراف قريش على حرب رسول الله ﷺ وتقديم الضمانات لهم بالنصر؛ حتى أجابوهم لذلك، ثم خروجهم إلى غطفان ودعوتهم لذات الغرض من أجل استئصال دولة المسلمين، ولكن الله خذلهم وردهم على أعقابهم خاسرين.
3. أن غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب هي الغزوة السابعة عشر من غزوات الرسول ﷺ، وكانت في شوال من السنة الخامسة من الهجرة النبوية على الصحيح.

4. ظهرت خلال هذه الغزوة العديد من معجزات النبي ﷺ منها: هزم الله تعالى الأحزاب بالريح وتنزلت الملائكة لنصر المسلمين.
5. لعب اليهود في هذه الغزوة دوراً سلبياً يدل على خبثهم وغدرهم الذي اعتادوه في حق النبي ﷺ وأصحابه؛ فكانوا السبب في تأليب قبائل العرب ضد المسلمين في المدينة، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ وحالفوا المشركين، ولكن الله خذلهم وأمكن منه

التوصيات:

- العناية بدراسة النصوص التاريخية المتعلقة بالسيرة النبوية وتخليصها من شوائب الإسرائيليات، والموضوعات، وغيرها، والاستفادة من كتب التفسير التي لها عناية بنقد الروايات التاريخية كتفسير الإمام ابن كثير رحمه الله.
- العناية بتفسير الإمام ابن كثير رحمه الله وتحليل ما تضمنه من روايات تاريخية كثيرة خاصة فيما يتعلق بالسيرة النبوية وقصص الأنبياء؛ فقد أورد رحمه الله- الكثير من الآثار والأحاديث وعالجها بمنهجية ناقدة وعلمية سليمة.
- إعداد أبحاث علمية تعتني بدراسة الآثار الوارد في كتب التفسير والتي تتحدث عن سيرة المصطفى ﷺ وتحقيقها، ومقارنتها بما أوردته كتب التاريخ والحديث المعتمدة.

الهوامش:

(1) شاكر، أحمد: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير 1/23، مصر، المنصورة، دار الوفاء، ط: 2، 1426هـ2005م.

(2) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني(ت852): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ترجمة رقم: (944)، (1/445)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، صيدر اباد/ الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2)، 1392هـ/ 1972م. الزحيلي، محمد: ابن كثير الدمشقي-الحافظ-المفسر-المؤرخ-الفقيه ص48-47.

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: البداية والنهاية (18/15)، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، بيروت، دار هجر، 1418 هـ-1997م. الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (1/20)، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

(4) بُصْرى-بضم أوّله، وإسكان ثانيه، وفتح الراء المهملة-مدينة حوران. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (1/253)، بيروت: عالم الكتب، ط2، 1403هـ

(5) حوران -بِفَتْحِ الحاء وبعد الواو راءٌ-ناحيةٌ بالشام قصبتها بُصرى. الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، (ص: 388)، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ

(6) ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت1089ه): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (1/67)، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق – بيروت: دار ابن كثير، ط: الأولى، 1406 هـ-1986م. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (1/12) تح: سامي محمد السلامة، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع ط2، 1420هـ-1999م.

(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (1/8) تحقيق: سامي محمد السلامة.

(8) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، (3/86). شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، (16-7/15). وشاكر، أحمد: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، (1/30).

(9) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (11/ 124).

(10) السنيدي، عبد الرحمن بن علي: منهجية التأليف في السيرة النبوية: ابن كثير ومراجعاته ونقده لمتون المرويات –السيرة النبوية نموذجاً-، (ص: 7)، المدينة المنورة، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ-2004م.

(11) اللاحم، منهج ابن كثير في التفسير، (ص: 101، 175، 329 وما بعدها).

(12) السنيدي، منهجية التأليف (ص: 9-8).

(13) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، (1/8)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط: الأولى -1419هـ

(14) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (5/337).

(15) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (19-1/18).

(16) اللاحم، منهج ابن كثير في التفسير، (ص: 162)؛ الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، السعودية -الرياض، دار المعارف، 1412هـ-1992م.

(17) ابن كثير، البداية والنهاية، (4/106-107)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/162).

(18) ابن هشام، عبد الملك الحميري المعافري(ت218)، السيرة النبوية، (3/166)، تعليق وتخريج: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي ط3، 1410هـ-1990م.

(19) خيبر: بفتح الخاء بعدها ياء ساكنة ثم موحدة مفتوحة وآخره راء. أرض نخل وزرع، كانت تقيم بها جماعة من اليهود، وبها حصون من جملتها: حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحى، والقموص وهو حصن أبي الحقيق، والشق، ونطاة، والسلالم، والوطيح. غزاها النبي ﷺ وفتحها، بينها وبين المدينة ثمانية برد، مشى ثلاثة أيّام. البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (2/521)، بيروت، دار عالم الكتب ط: 3، 1403هـ الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة (ص: 420)، تح: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة، 1415هـ

(20) خيبر: وهي بلدة معروفة، تبعد عن المدينة 165 كيل شمالا على طريق الشام. (انظر:

(21) مخطط المدينة)، مدينة خيبر. محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: 109) دمشق- بيروت: دار القلم، الدار الشامية والطبعة:1 - 1411 هـ

(22) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/162-163).

(23) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/166). والواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، الواقدي، المغازي (2/441-442)، تح: مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي ط:3، 1409هـ-1989م.

(24) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/166-167).

(25) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، (8/470)، تح: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ2000-م.

(26) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/163).

(27) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/167).

(28) مرّ الظّهران: الظهران واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها (مَرّ) تضاف إلى هذا الوادي؛ فيقال مر الظهران، وبمر الظهران عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة، وهو واد مخصب، ومن هذا الوادي كانت تجلب الفواكه والخضر إلى مكة شرفها الله تعالى، ويسمى الآن وادي فاطمة. الحموي، معجم البلدان، (4/63)؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي، رحلة ابن بطوطة، (1/367)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ

(29) الواقدي، المغازي (2/442). وابن حجر، فتح الباري (7/393).

(30) دار الندوة: هي دار بناها قصي بن كلاب في مكة كانت قريش تقضي أمورها، ولم يكن يدخلها من

قريش من غير ولد قصي إلا ابن أربعين سنة للمشورة، وكان يدخلها ولد قصي كلهم أجمعون وحلفاؤهم، وكان لا يعقد لواء الحرب إلا فيها ولا تزوج قرشية إلا فيها. كانت في الجانب الشمالي من المسجد الحرام، ثم دخلت في توسعته في عهد بني العباس. الأزرقي، محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما= =جاء فيها من الآثار (1/79)، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط:1. البلادي، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، (ص: 203).

(31) الواقدي، المغازي (2/444). الشنقيطي، أحمد محمد الأمين الجكني، البعوث والغزوات مرتبة بحسب السنوات (ص: 194-193)، القاهرة، العربية، دار الآفاق، ط:1، 1427هـ-2006م.

(32) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/171-172).

(33) ابن كثير، البداية والنهاية، (4/118).

(34) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/171-172).

(35) ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، (ص: 52)، تح: عبد الله إبراهيم الأنصاري، مكة المكرمة، المكتبة المكية، الطبعة:1، 1413هـ-1993م؛ الشنقيطي، محمد الأمين محمد محمود الجكني، السيرة النبوية في فتح الباري لابن حجر العسقلاني (2/472)، سعد الراشد، الكويت (د: ت)؛ الشنقيطي، البعوث والغزوات مرتبة بحسب السنوات (ص: 197).

(36) الشيخ، نزار محمود قاسم، مصور غزوات النبي ﷺ وطريق الهجرة (ص: 40)، جدة: دار أحب أن أتعلم-للنشر والتوزيع-. 1436هـ

(37) ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري (ت: 734ه)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (2/86)، تع: إبراهيم محمد رمضان، بيروت: دار القلم، الطبعة: 1، 1414/1993م؛ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، (1/190)، تح: الدكتور بشار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 2003م؛ الشنقيطي، السيرة النبوية في فتح الباري لابن حجر العسقلاني (2/472).

(38) ابن سيد الناس: عيون الأثر ، (2/88).

(39) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/163).

(40) الشنقيطي، البعوث والغزوات مرتبة بحسب السنوات (ص: 194).

(41) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت:852ه)، فتح الباري 7/393)، كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة 1379هـ

(42) المدخلي، إبراهيم بن محمد، مرويات غزوة الخندق (ص: 143-142)، السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، 1424هـ-2004م.

(43) ابن حجر، فتح الباري (7/393)؛ الشنقيطي، البعوث والغزوات مرتبة بحسب السنوات (ص: 194).

(44) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/168).

(45) الواقدي، المغازي (2/448)؛ ابن هشام، السيرة النبوية، (3/169).

(46) العكنة: هي ما انطوى وتثنى من لحم البطن. وكان ﷺ، نَغَّاضَ البَطْنِ، أي: مُعَكَّنَه، وكان عُكَنُه أَحْسَنَ من سَبائِكِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (ص: 655، 1216)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ-2005م

(47) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، حديث رقم: (4098)، (7/394). والواقدي، المغازي (2/449، 453).

(48) الواقدي، المغازي (2/454)؛ الشنقيطي، السيرة النبوية في فتح الباري لابن حجر العسقلاني (2/475).

(49) نزار محمود قاسم، مصور غزوات النبي ﷺ وطريق الهجرة (ص: 40).

(50) الواقدي، المغازي (2/450-451).

(51) أبو خليل، شوقي، أطلس السيرة النبوية، (ص: 137-136)، دمشق، دار الفكر، 1423هـ-2003م.

(52) الحلبي، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، (2/422-423)، بيروت، دار الكتب العلمية ط2، 1427هـ

(53) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/163).

(54) الصّبا: ريح شرقية تهب من جهة مطلع الشمس. الملا علي قاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (3/1114).

(55) الحلبي: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (2/437).

(56) مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، حديث رقم (900).

(57) محمد طاهر الصديقي الفتني، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، حيدر آباد، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف 1387هـ1967م. (3/291).

(58) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المسند، حديث رقم: (10996)، (17/27)، تح: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م. وابن كثير، البداية والنهاية، (4/127).

(59) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/164).

(60) ابن كثير، البداية والنهاية، (4/132). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/166).

(61) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (4115)، (5/111)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط:1، 1422هـ

(62) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (4117).

(63) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، حديث رقم: (4101)، (7/396).

(64) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/163).

(65) الجشيشة: طعام يصنع من البر المطحون خشناً مع اللحم والتمر. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، حرف الميم، باب الثنائي، (6/3، 12)، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (ت: بدون).

(66) الواقدي، المغازي (2/454-455)، ابن هشام: السيرة النبوية، (3/172-173).

(67) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، (2/424).

(68) الواقدي، كتاب المغازي، (2/457-458)؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (2/98).

(69) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/174-175).

(70) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/183-184)؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (20/245)؛ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (6/339)، تح وتخ: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:4، 1417هـ -1997م؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/175).

(71) مسلم ابن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم: (1770-69).

(72) الحديث بطوله رواه الإمام أحمد في المسند، من حديث عائشة-رضي الله عنها-برقم: (25097). وروي-أيضاً-عند: ابن حبان، صحيح ابن حبان، حديث رقم: (7028). وصححه الإمام الألباني-رحمه الله- في السلسلة الصحيحة، برقم: (67).

(73) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (20/245-246)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/177-178)؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (2/106-109)؛ الشنقيطي، محمد الأمين الجكني، السيرة النبوية في فتح الباري لابن حجر العسقلاني (2/508-509).

(74) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، حديث رقم: (4109)، (7/405).

(75) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (20/221).

(76) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/166-167)؛ ابن هشام، السيرة النبوية، (3/173-174).

(77) الواقدي، كتاب المغازي (2/459)؛ بن هشام، السيرة النبوية، (3/173).

(78) [الأحزاب: 20-12].

(79) ولفظ البخاري: «عن أبي موسى، أراه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب». البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم: (3622)، (4/203).

(80) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (6/326)؛ ابن هشام، السيرة النبوية، (3/174)؛ الواقدي، المغازي (2/463).

(81) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (3/419-420).

(82) 79 () الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (20/228).

(83) 80 () القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (14/150)، تح: أحمد

البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية ط: 2، 1384هـ -1964م.

(84) سَلَقُوكُمْ؛ معناه: عَضُّوكُمْ بألسنَةٍ، يَقُول: آذوْكمْ بالكلامِ فِي الْأَمر بِألسنةٍ سَلِيطةٍ ذَرِبَةٍ، قَالَ: ويقالُ صلقوكمْ بالصَّادِ أَيْضا، وَلَا يجوزُ فِي القراءَةِ، وَقَالَ اللَّيْثُ: سَلقتُه باللِّسانِ أَي أسْمَعْتُه مَا كَرِهَ فأكْثَرْتُ، ولسانٌ مِسلَق: حَدِيدٌ ذَلق. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (8/308)، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، ط: 1، 2001م.

(85) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، (28/455)، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1416هـ/1995م.

(86) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (20/230).

(87) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت:597ه)، زاد المسير في علم التفسير، (3/454)، تح: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط: 1422-1هـ.

(88) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (232-20/230).

(89) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/169).

(90) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (3/455).

(91) الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد(ت:468ه)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (464-3/463)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1415 هـ -1994م.

(92) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير(ت:1250ه)، (4/311)، دمشق: دار ابن كثير، ط:1، 1414هـ.

(93) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (170-6/169).

(94) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي(ت:1393ه)، التحرير والتنوير، (301-21/300)، تونس: الدار التونسية للنشر. 1984هـ.

(95) الشوكاني، فتح القدير، (4/311).

(96) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/163).

(97) ابن عبد البر، يوسف النميري(ت:463ه)، الدرر في اختصار المغازي والسير، (ص: 170)، تح: شوقي ضيف، القاهرة, دار المعارف، ط: 2 (د.ت).

(98) الواقدي، كتاب المغازي، (2/468).

(99) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (4112)؛ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم: (631-209).

(100) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (4115)؛ ومسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم: (1742-21).

(101) الواقدي، كتاب المغازي، (2/488).
(102) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/167).
(103) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (6/381)، لبنان-بيروت، دار الفكر، 1415هـ -1995مـ
(104) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/167).
(105) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (20/222).
(106) مجموع الفتاوى، (28/447).
(107) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/170). ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (6/455-456).
(108) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (3/50-51).
(109) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/170-171).
(110) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (2805)، (4/19). مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم: (1903-148).
(111) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: 1، 1415 هـ-1995م.
(112) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (3/457). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/171). والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911ه)، الدر المنثور، (6/587)، بيروت: دار الفكر. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (2/34).
(113) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/170).
(114) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (21/302).
(115) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم: (2371)، (4/163)، تح: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م. وقال أبو عيسى: حديث غريب، وصححه الإمام الألباني. الألباني، سلسة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: (1615)، (4/151).
(116) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (14/156)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط: 2، 1384هـ -1964م.
(117) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/163).
(118) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/175-176). والواقدي، كتاب المغازي (2/471). وابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، (3/232)، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1412هـ-1992م. وابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (2/91).
(119) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/176).
(120) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/163).

(121) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/181-182). والواقدي، كتاب المغازي (2/489-490).
(122) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم: (1788-99)، (3/1414).
(123) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، باب إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه إلى عسكر المشركين وما ظهر له في ذلك من آثار النبوة: (3/450-452)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: 1 -1405هـ.
(124) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (20/216).
(125) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (20/215). ابن كثير تفسير القرآن العظيم، (6/164).
(126) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/179-181). ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (2/95). ابن كثير: البداية والنهاية، (4/128-129).
(127) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ، تعريف: محمد أبو زهرة، (ص: 119-118)، (ن، ت: بدون). والرشيد، عبد الله محمد، القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، (ص: 477-476)، دمشق، دار القلم. والصلابي، محمد علي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، (ص: 605-604)، بيروت، دار المعرفة، ط: السابعة، 1429هـ-2008م. الصلابي، محمد علي، غزوات الرسول ﷺ، دروس وعبر وفوائد، (ص: 205)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط: 1، 1428هـ-2007م.
(128) الرشيد، القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، (ص: 477).
(129) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/174).
(130) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (4114)، (5/111).
(131) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/174).
(132) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (4110)، (5/110).
(133) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6/174).
(134) العودة، سليمان بن حمد، المختصر من صحيح السيرة النبوية، (ص: 251)، الرياض، شركة دار رسالة البيان للنشر والتوزيع، ط: 1، 1440هـ-2019م.
(135) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (7/393)، كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ. الشنقيطي، البعوث والغزوات مرتبة بحسب السنوات (ص: 194).
(136) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/179-181). ابن كثير، البداية والنهاية، (4/128-129).
(137) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (4115). مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم: (1742-21).
(138) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: (4110).
(139) العودة، المختصر من صحيح السيرة النبوية، (ص: 252).
(140) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (7/405).
(141) ابن هشام، السيرة النبوية، (3/202). ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، (ص: 183-182).

المصادر والمراجع:

(1) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1412هـ-1992م.

(2) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت:597ه)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط: 1422-1هـ.

(3) ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تح: عبد الله إبراهيم الأنصاري، مكة المكرمة، المكتبة المكية، الطبعة:1، 1413هـ-1993م.

(4) ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت1089ه): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق – بيروت: دار ابن كثير، ط: الأولى، 1406 هـ-1986م.

(5) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي، رحلة ابن بطوطة، ، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ

(6) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المملكة العربية السعودية، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1416هـ/1995م.

(7) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت:852ه)، فتح الباري، كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة 1379هـ

(8) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني(ت852): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، صيدر اباد/ الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2)، 1392هـ/ 1972م. الزحيلي، محمد: ابن كثير الدمشقي-الحافظ-المفسر-المؤرخ-الفقيه.

(9) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ

(10) ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري (ت: 734ه)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تع: إبراهيم محمد رمضان، بيروت: دار القلم، الطبعة: 1، 1414/1993م.

(11) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي(ت:1393ه)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر. 1984هـ

(12) ابن عبد البر، يوسف النميري(ت:463ه)، الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: شوقي ضيف، القاهرة, دار المعارف، ط: 2 (د.ت).

(13) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط: الأولى -1419هـ

(14) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي محمد السلامة، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع ط2، 1420هـ-1999م.
(15) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: البداية والنهاية، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، بيروت، دار هجر، 1418 هـ-1997م. الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
(16) ابن هشام، عبد الملك الحميري المعافري(ت218)، السيرة النبوية، تعليق وتخريج: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي ط3، 1410هـ-1990م.
(17) أبو خليل، شوقي، أطلس السيرة النبوية، (ص: 137-136)، دمشق، دار الفكر، 1423هـ-2003م.
(18) الأزرقي، محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (1/79)، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط:1. البلادي، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية.
(19) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، ط: 1، 2001م.
(20) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: 1، 1415 هـ-1995م.
(21) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، السعودية -الرياض، دار المعارف، 1412هـ-1992م.
(22) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح وتخ: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:4، 1417هـ -1997م.
(23) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت: عالم الكتب، ط2، 1403هـ.
(24) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت، دار عالم الكتب ط: 3، 1403هـ.
(25) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، باب إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه إلى عسكر المشركين وما ظهر له في ذلك من آثار النبوة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: 1 -1405هـ.
(26) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، تح: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م. وقال أبو عيسى: حديث غريب، وصححه الإمام الألباني.
(27) الحلبي، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، بيروت، دار الكتب العلمية ط2، 1427هـ.

(28) الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: الدكتور بشار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 2003م.
(29) الرشيد، عبد الله محمد، القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، دمشق، دار القلم.
(30) السنيدي، عبد الرحمن بن علي: منهجية التأليف في السيرة النبوية: ابن كثير ومراجعاته ونقده لمتون المرويات –السيرة النبوية نموذجاً-، المدينة المنورة، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ-2004م.
(31) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911ه)، الدر المنثور، بيروت: دار الفكر.
(32) شاكر، أحمد: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مصر، المنصورة، دار الوفاء، ط: 2، 1426هـ2005م.
(33) الشنقيطي، أحمد محمد الأمين الجكني، البعوث والغزوات مرتبة بحسب السنوات، القاهرة، العربية، دار الآفاق، ط:1، 1427هـ-2006م.
(34) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لبنان–بيروت، دار الفكر، 1415هـ -1995مـ
(35) الشنقيطي، محمد الأمين محمد محمود الجكني، السيرة النبوية في فتح الباري لابن حجر العسقلاني، سعد الراشد، الكويت (د: ت).
(36) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير(ت:1250ه)، دمشق: دار ابن كثير، ط:1، 1414هـ
(37) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المسند، تح: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م.
(38) الشيخ، نزار محمود قاسم، مصور غزوات النبي ﷺ وطريق الهجرة، جدة: دار أحب أن أتعلم-للنشر والتوزيع-. 1436هـ
(39) الصلابي، محمد علي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، بيروت، دار المعرفة، ط: السابعة، 1429هـ-2008م.
(40) الصلابي، محمد علي، غزوات الرسول ﷺ، دروس وعبر وفوائد، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط: 1، 1428هـ-2007م.
(41) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ-2000م.
(42) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ، تعريف: محمد أبو زهرة، (ن، ت: بدون).
(43) العودة، سليمان بن حمد، المختصر من صحيح السيرة النبوية، الرياض، شركة دار رسالة البيان للنشر والتوزيع، ط: 1، 1440هـ-2019م.
(44) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، حرف الميم، باب الثنائي،، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (ت: بدون).
(45) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ-2005م

(46) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية ط: 2، 1384هـ 1964-م.
(47) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط: 2، 1384هـ 1964-م.
(48) اللاحم، سليمان بن إبراهيم: منهج ابن كثير في التفسير، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، 1420هـ
(49) محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، -دمشق- بيروت: دار القلم، الدار الشامية والطبعة:1 - 1411 هـ
(50) محمد طاهر الصديقي الفتني، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، حيدر آباد، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف 1387هـ1967م. (3/291).
(51) المدخلي، إبراهيم بن محمد، مرويات غزوة الخندق، السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، 1424هـ2004-م.
(52) الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ.
(53) الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تح: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة، 1415هـ.
(54) الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد(ت:468ه)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، 1415 هـ 1994-م.
(55) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، الواقدي، المغازي، تح: مارسدن جونس، بيروت، دار الأعلمي ط:3، 1409هـ1989-م.